مشكلة القلق الوجودي في زمن كورونا.. بين التأصيل العلمي والاعتقاد الشعبي: دراسة تحليلية سوسيولوجية

Existential Anxiety in COVID-19 Time between Science and Popular Beliefs: A Sociological Analysis

ذ. العربي عكروش[1]

AKROUCHE Larbi

ملخص البحث:

تهدف الدراسة إلى ملامسة موضوع انتشار مشكلة القلق الوجودي في صفوف الأفراد والجماعات، وتحليل تجليات العلاقة القائمة بين مشكلة ارتفاع مستويات القلق الوجودي لدى الإنسان المعاصر في زمن جائحة كورونا وفقدان الاستمتاع بالحياة، ودراسة تأرجح المواقف المجتمعية بين التصديق الجازم لجهود الخطاب العلمي والإقبال على التمسك بمقولات المعتقدات الشعبية. واتبعنا المنهج الاستكشافي التحليلي، وقمنا بتجميع البيانات بطريقة شفوية افتراضيا وعن بعد، من خلال استجواب عينة من الأسر التي مرت بتجربة القلق الوجودي المرتبط بتفشي مرض كورونا. وتكونت عينة هذه الدراسة من 14 أسرة، قاطنة بمدينة إمنتانوت، وتم اعتماد المقابلة لمعالجة السؤال الإشكالي للدراسة: "كيف أثرت محدودية نتائج العلم في تخليص الإنسان من مشكلة القلق الوجودي في زمن كورونا على تقوية الثقة البشرية بالمعتقدات الشعبية؟". وبعد التحقق من الفرضيات المطروحة، جاءت النتائج معبرة عن الحذر الذي يبديه الإنسان من محتوى الخطاب العلمي لمواجهة القلق الوجودي في زمن كورونا، والتوجه نحو الاستفادة مما تقدمه المعتقدات الشعبية. وهي نتائج ذات عواقب وخيمة، تؤثر سلبا على استقرار حياة هذا الإنسان في كل أبعادها النفسية والاجتماعية والثقافية والفيزيولوجية. وخلصنا إلى أن مواجهة القلق الوجودي في زمن كورونا، مسؤولية جماعية تتقاسمها مختلف مكونات وفعاليات المجتمع البشري من خبراء وعلماء وأطباء وسياسيين ومبدعين ورجال دين ومواطنين، وتتطلب وضع استراتيجية مجتمعية شاملة، تأخذ بعين الاعتبار أهمية تأهيل الرأسمال البشري لتحقيق السيادة الكاملة للعلم.

[**الكلمات المفتاح:** القلق الوجودي، التأصيل العلمي، الاعتقاد الشعبي، وباء كورونا]

Abstract:

This study analyses the manifestations of the relationship between the high levels of existential anxiety among individuals and groups in the time of the COVID-19 pandemic,

(1) باحث بسلك الدكتوراه - جامعة القاضي عياض - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - مراكش - المغرب.

the loss of enjoyment of life, and fluctuating societal positions between the endorsement of the scientific discourse and the adherence to popular beliefs. The study addresses the following problematic question: to what extent has the limited success of science in addressing existential anxiety during the pandemic affected people's confidence in popular beliefs? To tackle this question, an analytical exploratory approach is adopted. The researcher virtually interviewed a sample of 14 families in the city of Immintanout who had gone through the experience of existential anxiety that is associated with the outbreak of the coronavirus. The findings reveal people's discontent with the scientific discourse about facing existential anxiety in the time of COVID-19 along with their tendency to try what popular beliefs offer. These conducts negatively impact the stability of these individuals at the psychological, social, cultural and physiological levels. The results of this study equally draw attention to the collective responsibility of experts, scientists, doctors, politicians, artists, religious leaders and citizens. Addressing the problem of existential anxiety during and after the pandemic requires setting a comprehensive community strategy that takes into account the importance of qualifying the human capital to ensure the supremacy of science.

[**Keywords:** Existential anxiety; scientific rooting; popular belief; epidemic].

مقدمة:

يعيش العالم ثورة علمية واقتصادية وتقنية واجتماعية، لم يسبق لها مثيل عبر مساره التاريخي، خلفت آثارا سلبية وإيجابية، شملت مختلف مجالات الوجود البشري، ثورة لم يكن بالإمكان تخيلها بهذا الحجم والأثر مند قرن ونيف من الزمان، فالتحولات المعاصرة تتجاوز حدود منطق العقل الإنساني، وتتحدى كل الآراء الداعية بعجز الإنسان عن فك أسرار الظواهر الطبيعية والإنسانية، لهذا، ينعت القرن العشرين بقرن تجسيد المعنى الحقيقي للوجود الإنساني في هذا الكون، ودحض كل الأقوال التي تنقص من قيمته وإمكانياته، واعتماده على عقله كأداة وحيدة وفريدة في وضع نظم التطور الاقتصادي وتحقيق الرفاه الاجتماعي لوجوده، والقضاء على مصادر القلق والخوف والشقاء التي تنغص حياته، وصيانة مفاهيم حقوق الإنسان والحرية والاختلاف والفردانية والحق في الوصول إلى المعلومة والتعبير عنها.

يتميز الوجود الإنساني في هذا العالم بالتفرد والتميز، فالإنسان كذات عاقلة واعية مفكرة حرة مريدة قصدية مستقلة غائية، تعي أفعالها، وتدرك محيطها، وتتحمل مسؤولية

قراراتها، لا تستطيع أن تتخلص من أبعاد وجودية، تنغص عليها حياتها، وتحولها إلى مجال للصراع المزمن مع أنواع كثيرة من القلق، خاصة القلق الوجودي الذي ينتاب الإنسان ككائن عاقل، يمنطق ويدبر ويهندس ويتحكم في كل شيء في حياته، لكن ظهور أشياء، وحدوث وقائع، يعجز الإنسان عن تفسيرها، تفلت من قدرته على التحكم في مجريات الحياة، تحوله إلى وضع مغاير، يختلط فيه العقل باللاعقل، والألم باللذة، والشقاء بالسعادة، والخيال بالحقيقة، فتضيع الذات فيه باحثة عن موقف ينقذها من هذا القلق، وبفشلها في العثور على ما يشفي غليل بحثها، تختار منطق الاستسلام لمصيرها المؤكد، والذي لا تملك سوى قبول ما تفرزه حتميات الزمان .

إنّ هذه الخاصية الملازمة للوجود الإنساني، شكّلت هاجسا رئيسيا لكل أنماط الفكر الإنساني، بدء بالأسطورة، ومرورا بالدين والفلسفة، ووصولا إلى العلم، فكل نمط من هذه الأنماط إلا وقد أدلى بدلوه في تحليل الوجود الإنساني، والتفكير في تخليصه من مشكلاته التي تثير فيه مظاهر القلق. فالحديث عن الوجود البشري من خلال معاني الوعي والحريّة والكرامة والإرادة والرغبة، يحيل على مشروعية التطرق لمشكلة القلق الوجودي في حياة الإنسان، والتساؤل عن مصدره وماهيته وسببه وتبعاته.

إن مناسبة الحديث عن مميزات الوجود البشري تكمن في الوضعية الاستثنائية التي تطوقه، والتي خلقت لديه أزمات اقتصادية واجتماعية وثقافية وأمنية لم يسبق لها مثيل، فقد ساهمت الأزمة الصحية العالمية التي تسبب فيها وباء كورونا، في انتشار مظاهر الخوف بين الناس، وظهور علامات القلق على محياهم، وتزايد ردود الفعل الصادرة عن المجتمعات البشرية. فتأمل حال البشرية اليوم، يفضي إلى الوقوف على جسامة المعاناة اليومية التي يعانيها الإنسان، وحدّة الأزمة التي يقاسيها بفعل كثرة مشاكله وتعقّدها في زمن كورونا، والتي ولدت لديه الشعور بالغربة أو الاغتراب في عقر داره، والتوجّس من خطوة يخطوها، وعدم الأمن في السير قدما نحو مواصلة اكتشافاته وسيطرته على الطبيعة، والتصرف بطرائق غريبة. فما يشغل بال الإنسان اليوم هو عدم فهم الكيفية التي شمل بها الفيروس كافة أرجاء الأرض، بحيث لم تسلم منه لا مدينة ولا قرية ولا بيت، والطريقة التي ولد بها حالة متقدمة من الخوف الفردي والجماعي. وما يزيد من حجم هذا القلق المرتبط بالوباء، التعبئة الكبيرة لوسائل الإعلام في نقل يومي لأخبار المرض والموت واليأس والمدن الموحشة، وتكريس حقيقة عجز العلم عن القضاء على هذا المرض، ومحاصرة انتشاره، واكتشاف علاج حقيقي وسريع له.

ففي ظل التحولات المتلاحقة التي تعرفها الحياة الراهنة لجميع بلدان العالم بفعل الآثار المباشرة لجائحة كورونا، وما نشاهده من مخلفات سلبية أتت على الأخضر واليابس، فقد تصاعدت معدلات الشعور بالقلق والخوف لدى جميع الناس بفعل كثرة المشاهد اليومية لطوابير طويلة من الجثامين الموضوعة في مستودعات حفظ الأموات بالمستشفيات، والتي لم تعد تستوعب هذا العدد الهائل لضحايا كورونا، فتم الاستعانة بأماكن أخرى كدور العبادة وصالات التزلج، جراء توقف عمليات الدفن في المقابر واكتظاظ ثلاجات حفظ الموتى. فقد ساهمت هذه المشاهد، والتي تتناقلها وسائل الإعلام بجميع أنواعها.ويتم تداولها بشكل واسع على شبكات التواصل الاجتماعي، في فقدان الإنسان المعاصر لها للشعور بالطمأنينة والراحة، سيما وأن كل ما يتعلق بالمعطى الصحي، له وقع كبير على استقرار الحياة الاجتماعية، وتفادي العيش في حالة من عدم اليقين، فسيل الأخبار والمعلومات التي تعرف انسيابا ضخما في هذه الفترة بالضبط، أصابت المجتمعات البشرية بالقلق المستمر، والخوف من المجهول، والبحث عن الأجوبة الحقيقية لعالم ما بعد الموت، سواء في الدين أو الفلسفة أو الأسطورة أو العلم.

انطلاقا من تشخيص وضعية المجتمعات البشرية في زمن كورونا، يتضح أن آثار هذا الوباء لا يقتصر فقط على ما هو اقتصادي واجتماعي وصحي، بل رافقتها نتائج أخرى لن تظهر الآن بشلكل جلي، ولكن أثرها سيظهر بعد انصرام فترة من الزمن، وستبقى ملازمة للبشرية لمدة طويلة، وستكون لها انعكاسات في المستقبل، سواء في توليد مشاعر الشك في حقائق العلم، والشعور بالتهديد الدائم رغم ما وصل إليه من نتائج وابتكارات، و انخفاض مستوى الثقة في نظرياته واكتشافاته، وتزايد مشاعر عدم الحلم بعالم يكون فيه العلم هو القائد الوحيد لمسيرة البشرية في هذا الكون، و في المقابل، ارتفاع النداءات الداعية إلى الاحتماء بخدمات التفسيرات الخرافية واللاهوتية والشعبية، وتأكيد قدرتها على مساعدة الإنسانية على تجاوز الكثير من المحن التي فشل العلم في تخليصها منها، وتقديم تفسيرات تطمئن وجدان الإنسان، وتجعله يؤمن بصدق أقوالها وتنبؤاتها.

يحظى القلق الوجودي في حياة الإنسان المعاصر بأهمية كبيرة، فهو حاضر لديه في السكنات والحركات، في بنيات الوعي واللاوعي، في الوجود المادي واللامادي، في الأفعال والأقوال، في لحظات الحزن والفرح، في وضعيات الانطواء والانفتاح، في تفاعلات الفرد والجماعة، في أحاسيس الوجدان ومقولات العقل، وغيرها... فقد ازداد حجم هذا الحضور في زمن كورونا، بحيث ساهمت الطوارئ الصحية المفروضة في تغيير منحى سير حياتنا المعاصرة،

فانتقلت من وضعية الإيمان المطلق بحقائق العلم إلى العودة إلى الارتباط بالمعتقد الشعبي، ومن الانشغال الذهني بوباء كورونا إلى الإرهاق النفسي والتأثر العاطفي بنتائجه ، ومن الرضا التام على قرارات وتصرفات الذات إلى الأنين والصراخ من حالات القلق والتوتر التي تطغى على الإنسان.

فرغم أن العلم المعاصر، قد قطع أشواطا كبيرة في تحليل ما يتعلق بموقع مفهوم القلق في بنية الوجود الإنساني، سواء في بعده الزمني، أو في علاقاته المتشابكة مع مختلف الظواهر الطبيعية والمشكلات الإنسانية، فما زال هذا المفهوم يكتنفه الغموض لدى عامة الناس وصفوتهم على السواء، ولم تفلح العلوم الحديثة من تحريرهم من دوامة هذا القلق، رغم تمكنها من فك أسرار كثيرة في هذا المفهوم، ونجاحها في إنزال عن عرشه، وإضفاء النسبية عليه، عوض صفة المطلق التي اتصف بها عبر السنين. ومبرر استمرار وطأة القلق في الوجود البشري، هو عدم قدرة الإنسان على وضع حدود فاصلة بين اللحظات الزمنية الثلاثة لحياته اليومية، الماضي، الحاضر، والمستقبل. فالإنسان لازال يوجد في وضعية نفسية واجتماعية معقدة، تتسم بعدم قدرته على رسم خريطة للتوازن المطلوب بين هذا اللحظات الزمنية، والكفيل بمنح المعنى لحياته، والقيمة لوجوده، فالإنسان يوجد في مفترق الطرق، يحن إلى الماضي، ويتوجس من المستقبل، ويقلق على الحاضر، لكن هذا الوجود يصعب الشعور به، وتحديده كنقطة هندسية لا وجود لها، لأنها مجرد ملتقى خطين: خط الماضي وخط المستقبل. فهذه الصعوبة، جعلت الإنسان يقتنع بكون الزمان حقيقة تتجاوز قدرات عقله، فالحاضر لا يملك أية كثافة وجودية، بينما يفتقر كل من الماضي والمستقبل الى الطابع العيني المميز لكل وجود[1]. من هنا، اختار المختصون في الدراسات النفسية والاجتماعية، ربط مصدر القلق الوجودي الذي ينتاب الإنسان أثناء أزماته الفردية والجماعية بمصدر واحد، وهو الحضور المتميز والمؤثر للبعد الزمني في وجود الإنسان، فكل الأسئلة الوجودية التي طرحها الإنسان منذ القدم، ومحاولاته المستمرة في معالجتها، تتطرق لمشكلة أساسية، استعصت على الفهم البشري، ورفضت الخضوع لمنطق العقل والتجربة والبرهان المادي، يتعلق الأمر بمشكلة الزمن، ومكانته في سيرورة الحياة البشرية.

لقد انصبت اهتمامات مختلف الباحثين في الآونة الأخيرة على ترك إتمام أعمالهم السابقة التي كلفوا بها جانبا، واختاروا عوضها التفرغ العلمي لمواجهة هذا العدو الخفي «فيروس

(1) زكريا، إبراهيم، مشكلات فلسفية: المشكلة الخلقية، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1963، ص 78.

كورونا»، ومعرفة طبيعته وماهيته وأسبابه والسبل الممكنة لمحاصرته والقضاء عليه، ومعالجة التبعات الاجتماعية والنفسية التي ترافق الانتشار الواسع للوباء، خصوصا معاناة الأفراد والجماعات مع مشكلة القلق الوجودي. ففئة من الباحثين اهتمت بأسباب هذا القلق، وفئة تناولت قضايا التعامل العلمي والشعبي معه، وفئة ثالثة اشتغلت على الحلول الممكنة له.

ومساهمة منا في هذا المجهود الجبار الذي يشغل الجميع، تندرج هذه الدراسة، والتي تحاول أن تلامس جانبا مهما من هذا الموضوع، والذي طالما شكل حقلا خصبا لاشتغال الفكر السوسيولوجي، يتعلق الامر بموضوع أثر محدودية النتائج العلمية في تخليص الإنسان من مشكلة القلق الوجودي الذي يسببه وباء كورونا على استنجاد هذا الإنسان بالحماية والوقاية التي يظن أنا موجودة في المعتقدات الشعبية.

موضوع تأرجح الرؤية الإنسانية لمسألة الطريقة المثلى لتفادي القلق الوجودي في زمن كورونا بين التأصيل العلمي والاعتقاد الشعبي، من أكثر المواضيع تداولا في مجال الدراسات الاجتماعية والنفسية، وغيرها من العلوم الأخرى. إنها الظاهرة التي أقلقت بال الباحثين الاجتماعيين، واحتلت مكانة بارزة في أبحاثهم العلمية، وشغلت اهتماماتهم الفكرية، هذا الاهتمام نتج عنه في ظرف وجيز، تراكم معرفي يستثمر في مقاربة هذه القضية الشائكة، والتي ما فتئت تتجدد كل يوم، وتفصح عن مفارقات جديدة لم تكن معروفة من قبل.

إن دراسة مشكلة القلق الوجودي في زمن كورونا بين التأصيل العلمي والاعتقاد الشعبي، تحتاج رؤية كاملة لإشكالية تتوخى تعريف مفهوم القلق الوجودي، ومجالات بروزه، ومقاربات تناوله، وأثره على تراجع الثقة بالعلم، وتزايد الاهتمام بالمعتقدات الشعبية.

من هنا، نسعى من خلال هذه الدراسة، إلى الكشف عن أهم التطورات التي عرفها النسق الثقافي والاجتماعي لمشكلة القلق الوجودي في هذه الظرفية الخاصة، منفتحين على مختلف عناصره المادية والمعنوية التي ساهمت في وجود الإنسان في وضعية التردد بين الاكتفاء بما يقدمه الخطاب العلمي، أو الارتماء في أحضان المعتقد الشعبي، بناء على اختيار مؤشرات نحتكم إليها لمعرفة مستوى هذا التطور وأهم مظاهره.

وبما أن الدراسة للموضوع يجب أن تكون شاملة إلى أبعد حد ممكن، حتى يمكن الكشف عن كل مكونات هذه الظاهرة بتجلياتها، وأسسها، ارتأينا إجراء دراسة ميدانية بأحد الحواضر الشبه القروية، وهي حاضرة امنتانوت، وخصصنا مضمونها كنموذج لتحليل للتعامل الإنساني مع وباء كورونا.

أما دراستنا ككل، فقد تم تقسيمها إلى ثلاثة أقسام رئيسية، القسم المنهجي يضم إشكالية الدراسة وموضوع البحث ومجموعة التساؤلات المثارة فيه، ومبررات اختيار هذا الموضوع، وتحديد مفاهيمه الإجرائية، وإبراز أهم أهدافه، واستعراض بعض الدراسات المشابهة لدراستنا الحالية وعقد مقارنات بينها. كما خصصناه للإجراءات المنهجية المستخدمة في البحث، واعتمدنا فيه على المنهج الوصفي لأنه ملائم لطبيعة دراستنا وموضوعها واستعنا ببعض أدوات جمع البيانات، تمحورت في استمارة المقابلة، حيث اتجهنا افتراضيا، وعن بعد، إلى المنطقة المستهدفة بالدراسة.

القسم النظري، جمعنا فيه أهم الأطر النظرية المفسرة للموضوع من جهة، ومن جهة أخرى أهم الاتجاهات النظرية التي اهتمت بتفسير مفاهيمه ومحتوياته، حتى يتسنى لنا وضع دراستنا الحالية في إطار مرجعها الفكري والنظري وتسهل علينا عملية مناقشة النتائج فيما بعد. وركزنا على مفهوم القلق الوجودي، وأسبابه الداخلية والخارجية، ومصادره المادية والرمزية، ونتائجه على الفرد والجماعة، ومختلف المقاربات النفسية والاجتماعية والطبية المعتمدة للتخلص من مشكلاته النفسية، واضطراباته العصابية. كما خصصنا فصلا كاملا للحديث عن أهم المؤشرات التي تدل على طبيعة القلق الوجودي، كالمؤشرات المرتبطة بالجانب الصحي، والمؤشرات المتعلقة بالتفاعل العلائقي، والمؤشرات المنصبة على نمط القيم والاتجاهات والمعتقدات التي يعتقد بها الإنسان في زمن كورونا، وصولا إلى المؤشرات الخاصة بالمجال المادي والرمزي الذي يسهل مأمورية التشكيك بالخطاب العلمي، والتصديق بخطاب المعتقد. ثم انتقلنا بعده مباشرة إلى عرض أهم خصائص ودلالات مفهوم التأصيل العلمي وأنواعه وأسبابه ومجالاته ونظرياته، لتيختم هذا الفصل النظري بتحليل كل ما يتعلق بمفهوم المعتقد الشعبي وأسبابه ومصادره ومظاهره وأنواعه، وتبين الكيفية التي يتفاعل بها مفهوم كورونا ومشكلاته.

أما القسم الميداني فقد ضم فصلين، الأول خصصناه لتفريغ نتائج استجواب الأسر المبحوثة عن طريق مقابلتها عن بعد، وإجراء ما يشبه الحوارات معها خاصة وأن البعض منها أمي ولا يتقن استخدام اللغة العربية، فاضطررنا لترجمتها إلى الأمازيغية. والثاني قمنا فيه بتفريغ البيانات الميدانية، وتحليلها وتفسيرها، وصولا إلى عرض النتائج النهائية للدراسة ومناقشتها في ضوء الدراسات المشابهة والاتجاهات والنماذج النظرية والتساؤلات، ليختم هذا الفصل بتقديم بعض الحلول والتوصيات التي أدلى بها المستجوبون حول الموضوع .

وقد تنوعت المصادر التي استندنا إليها في جمع المعلومات النظرية والميدانية، بين المراجع المتنوعة باللغة العربية وباللغة الفرنسية، وبين المجلات والرسائل الجامعية والإحصائيات وغيرها.

1) **السياق العام:** تعرضت المجتمعات البشرية إلى سيل من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والأمنية والثقافية منذ فجر التاريخ، وكل أزمة لها ما يميزها عن الأخرى من حيث العوامل المسؤولة عن حدوثها، وما يخصها من حيث النتائج التي خلفتها على مستوى الفرد والجماعة، والطرق التي تعاملت بها الشعوب مع سياقاتها ومظاهرها، والكيفية التي اندملت بها خسائرها وجروحها. فإذا كانت كل الأزمات تتشابه في معطيات الخسائر الكبيرة في الأرواح والممتلكات، فإنها تختلف في حجم هذه الخسائر وكمياتها ونوعيتها، ليبقى أهم قاسم مشترك بين هذه الأزمات، هو استمرار معاناة الكائن الإنساني مع حالة القلق الوجودي المزمن الذي ينتج عنها، والذي يرافقه دائما في كل لحظاته وخطواته، في نومه ويقظته، في صحته ومرضه، في فردانيته واجتماعه بالآخرين. فمن كثرة توالي هذه الأزمات والكوارث، أصبح الإنسان يعيش وحيدا ومنعزلا رغم تواجده في الجماعة، وتفاعله مع أفرادها، فالإحساس بالعبثية وفقدان الاستمتاع بالحياة، سمة ملازمة لكل من عاش أو شاهد ويلات ومخلفات هذه الأزمات، فمن كثرة مشاهدها المؤلمة، ونتائجها المدمرة نفسيا واجتماعيا واقتصاديا، تكون لدى الإنسان مشاعر اليأس من تحقيق الطموح، والإحباط في الحياة، وفقدان الثقة في الذات والمجتمع، والقلق على المصير، والتوجس من الغير والطبيعة، والخوف من المستقبل والمجهول، والركون إلى الانعزال والشك.

وفي هذا الصدد، لم يشهد التاريخ والعالم بأسره، ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية، أزمة كونية مثل أزمة كورونا التي تتخبط فيها جميع المجتمعات، كما لم تشهد البشرية في أي فترة تاريخية سابقة توترات نفسية، وجدالات إيديولوجية، وتفسيرات متضاربة، حول ماهية هذه الأزمة، وحدودها ونتائجها، وعلاقتها بالأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتحكمة في دواليب الحياة المعاصرة. فمع استمرار انتشار فيروس CoV19 في جميع أنحاء العالم، وتزايد أرقام وإحصائيات عدد الحالات التي يتم تشخيصها في جميع بلدان العالم، وعدد الوفيات التي تغادر هذا العالم كل يوم، عادت مستويات القلق الوجودي لتفتك بالأفراد، ولتستحوذ على تفكيرهم الذهني، وتأملهم النفسي، ولتضعهم من جديد في مواجهة مستمرة مع العقد النفسية والأزمات الصحية، والمشكلات الاجتماعية التي اعتقدوا أنهم تخلصوا منه إلى الأبد

بفضل كشوفات العلم وإنجازاته، ولتحيي فيهم من جديد السؤال الأبدي والأزلي المتعلق بالمصير الذي ينتظر الإنسان إن قدرله أن يكون ضحية لهذا الوباء، وتضعهم في مأزق الاختيار بين الحقيقة التي توصل إليها البحث العلمي، وبين الثقافة التي يروجها المعتقد الشعبي، فقد أثبت فايروس كورونا (COVID-19) قدرته على تجريد الإنسان البشر من شعوره بإمكانية مجاراة قوانين الطبيعة، ويعيدهم مباشرة إلى هاجس مواجهة القدر البيولوجي البدائي بمعزل عن أي احتياطات وقائية معقدة، أقامتها الحضارة البشرية منذ آلاف السنين لمواجهة الموت بأسلوب مؤسساتي نظامي، أي بالتنفيذ الحرفي لاحتياطات الطب والتغذية والسلوك الصحي، ورفض كل ما هو خارج عن نطاق العلم والعقل والمنطق.

فما يشهده العالم اليوم، يعتبر في نظر العديد من المؤرخين والأطباء والفلاسفة والعلماء أقسى أزمة عصفت بالمجتمع البشري منذ الحرب العالمية الثانية. فمنذ ثلاثة أشهر، والعالم يرزح تحت وطأة فيروس كورونا الذي صنفته منظمة الصحة العالمية كجائحة نظرا لسرعة انتشاره، ولشراسته التي تفتك بالأرواح والممتلكات، ونظرا لقوة العدوى الشديدة التي يتميز بها. فبات الحديث عن هذا الفيروس الشغل الشاغل للبشرية جمعاء، والموضوع الذي يحتل الصدارة في نشرات الاخبار، في مواقع التواصل الاجتماعي، كما في المناقشات بين الأهل والأقارب والأصدقاء. فإذا كان الشعور بالقلق نتيجة للتهديد مسألة فطرية في التركيب البيولوجي والنفسي للإنسان، واستجابة طبيعية تترجم مدى توفره على استعدادات وقدرات ومؤهلات عقلية وجسدية وسيكولوجية للتعامل مع مثل هذه الأزمات، و تجنب التهويل لمختلف الأخطار التي تنتج عنها، وتهدد وجوده، فإن تحول هذا القلق إلى حالة نفسية مزمنة، تحد من فعالية الفرد في مواصلة حياته بشكل طبيعي، وتعوق طموحه ورغبته في تحقيق كل المشاريع الفردية والجماعية التي يحلم بها، وتجعله عرضة لتجميد موارده النفسية التي يحتاجها لمثل هذه الظروف، وتعطيل إمكانياته الشخصية في البحث عن الحلول الملائمة لها، ووقوعه فريسة سهلة لها من خلال إصابته بسلسلة من الاضطرابات السلوكية والانفعالية والعلائقية والذهنية. كل هذه الخصائص هي التي تعطي المشروعية لكل عمل سوسيولوجي يتوخى تحليل ودراسة طبيعة العلاقة القائمة بين ارتفاع مستويات القلق الوجودي وتفشي وباء كورونا، ويحفز المرء على التفكير المستمر في هذه الحالة النفسية التي تتزايد حدتها يوما بعد يوم، و يتعاظم ليصل إلى حدود نشر الهلع والرعب في أوساط الناس، وذلك جراء عدم توقع سقف رقمي معين لعدد الضحايا التي يمكن أن يخلفها فيروس كورونا، ولا قدرة كبريات

المختبرات العلمية والمعاهد الطبية على إحداث ثورة في علاج هذا الوباء، وقرب إيجاد لقاح فعال و مؤكد له. من هنا. فقد أصبحت هناك الحاجة ملحة، فكريا وعلميا، لمقاربة قيمة الوجود في حياة الإنسان المعاصر في ضوء مواجهته لأزمة كورونا، وإبراز أن التطور العلمي والتكنولوجي الهائل في كل مناحي الحياة، لا يمكنه أبدا أن يشفي غليل هذا الإنسان في البحث المستمر والجاد عن جواب مقنع لسؤال المصير الذي ينتظره بعد مغادرته لهذا العالم. فمجرد رؤية تكرار مشاهد ضحايا الوباء في مختلف أرجاء المعمور، وعدم قدرة الناس على الالتزام بإجراءات الحجر الصحي المشددة والمفروضة على الملايين من البشر، وارتفاع وتيرة المظاهرات والمسيرات الشعبية المناهضة لقرارات وقف كل مظاهر الحياة الطبيعية في الآلاف من المدن والقرى، أدت بالإنسان المعاصر إلى تأكيد الموقف القديم الراسخ في البنية الذهنية للكائن البشري، والمرتبط بعدم الثقة في العلم والتكنولوجيا، رغم ما قدمته من إنجازات تقنية وأجوبة فكرية وحقائق علمية، حيث أصبح الكل منشغلا بالبحث عن معنى الوجود في مجالات أخرى كالدين والسحر والأسطورة والخرافة، والتي تخاطب الوجدان أكثر من العقل، في تناول المعاني الأساسية في الوجود الإنساني كالعدم، و الفناء، و اليأس، و القلق الوجودي. من هنا نشأت فكرة البحث في هذه القضية السوسيولوجية والسيكولوجية في نفس الوقت، وتحليل إشكاليتها المتحورة حول رصد تصورات القلق الوجودي في علاقته بتفشي وباء كورونا لدى عينة من الأسر القاطنة بمدينة امنتانوت.

2) **مشكلة الدراسة:** مشكلة القلق الوجودي لدى الكائن البشري ظاهرة ملفتة للانتباه، ومثيرة للاهتمام، نتيجة تطور الوعي لمشكلات الحياة المعاصرة بشكل عام، واستجابة لتقدم حركة شعبية واسعة النطاق بشكل خاص، تدعو إلى عدم الاقتصار على العلم فقط في التصدي لكل الأزمات التي تعصف بالمجتمعات البشرية، وضرورة الانفتاح على توجهات وتعاليم المعتقدات الشعبية، سواء كان مصدرها الدين أو الثقافة أو الأسطورة أو الخرافة، ففي نظر هذه المعتقدات الشعبية الممتدة بجذورها إلى أعماق التاريخ، وما تقدمه هذه المصادر من آراء وتفسيرات ونظريات، لا يقل أهمية وقيمة عن ما يصل إليه العلم من اكتشافات تقنية وحقائق علمية. الشيء الذي جعل من مسألة النقاش المفتوح حول أسباب ونتائج وحلول القلق الوجودي قطب الرحى لمظاهر الجدال الدائر اليوم حول طبيعة العلاقة التي تربط بين التأصيل والمعتقد الشعبي في تفسير مختلف المظاهر والقضايا المختلفة يشكل عام، ومشكلة تنامي صور القلق الوجودي الناتج عن الانتشار الواسع لوباء كورونا يشكل خاص. لهذا ينبغي

التأكيد أولا على كون هذا النقاش له انعكاسات سلبية مباشرة على الفرد والمجتمع معا، فالإحصائيات الصادرة عن مختلف المراكز الإحصائية والجهات المسؤولة، صادمة ومخيفة، تستدعي دقّ ناقوس الخطر من أجل التوعية ولجم التردّي المخيف لوضع البشرية أمام تفشي جائحة كورونا، فيكفي فقط الإشارة الى أنّ هدر الوقت والجهد والمال في هذا النقاش، أمر غير محمود في هذه الظرفية الحساسة من حياة البشرية، والتي تستوجب وضع هذه النقاش جانبا، والانكباب الجاد والمسؤول لإيجاد العلاج المناسب لهذا الوباء، وتخليص البشر من القلق الوجودي الناتج عنه.

أمام هذه الوضعية التي تكشف عن مفارقة فاصلة بين الجهود المبذولة من طرف البحوث العلمية في القضاء على وباء كورونا، ومحدودية النتائج المحققة على أرض الواقع لحد الآن، يحظى موضوع تأرجح تعامل الإنسان المعاصر مع القلق الوجودي الملازم لجائحة وباء كورونا، بين قواعد التأصيل العلمي المبني على مناهج تجريبية صارمة ومقولات عقلية منطقية ومتماسكة بعناية فائقة [(1)]، فالنقاش حول الوسيلة المثلى لمحاربة داء كورونا، والتي أعادتها الوضعية المأساوية التي تعيشها البشرية في الوقت الراهن إلى دائرة النقاش العمومي، يحظى بعناية خاصة، نظرا لدوره الرئيسي في وضع أسس تنمية ناجعة راقية، و حياة سليمة وصحية موجهة للجميع بدون استثناء. فمن خلال استيعاب حيثيات هذا الموضوع، وسلامة منهجية التعامل معه، يمكن بناء وتشكيل منظومة علمية إجرائية قادرة على ملامسة مدى الأثر الصحي والنفسي الذي تخلفه جائحة كورونا على الأسر في المجتمع.

والواقع أن دراسات عديدة أظهرت في الآونة الأخيرة، أن تأخر البحث العلمي في القضاء على تفشي جائحة كورنا، واكتشاف لقاح فعال له، ينتج عنه انعكاسات سلبية في مخيلة العامة، ويخلف نتائج وخيمة بخصوص ثقة الافراد والمجتمعات بنوايا العلم، بما في ذلك، لجوئهم إلى البحث عما يمكن أن ينقدهم من بطش وباء كورونا، وهو ما سمح للمعتقدات الشعبية بالعودة القوية إلى الاستحواذ على تفكير الإنسان، واستغلال الفراغ الذي خلفه عجز العلم عن تقديم إجابات مقنعة للجميع.

من هذا المنطلق، أولت مؤسسات البحث العلمي اهتماماً كبيرًا لكيفية الرفع من نجاعة العلم كمنقذ رئيسي من القلق الوجودي الذي يصيب الناس جراء تفشي هذا الوباء. إن مسألة إعادة رد الاعتبار للثقافة العلمية الأصيلة، إشكالية علمية وأخلاقية ومجتمعية تستدعي

(1) البيرت أينشتاين هو أول من اعتبر بأن النظريات العلمية إبداعات حرة للعقل البشري.

تناولا عميقا من طرف الباحثين، خصوصا وأن ارتفاع نسب المصابين بالقلق الوجودي في زمن كورونا، يتصل بمجموعة من الانعكاسات الاقتصادية والثقافية والنفسية والاجتماعية.

إن تعدد برامج وطرق العمل المقترحة من لدن الدوائر العلمية في مختلف بقاع العالم، و الموجه أساسا لمحاربة الانتشار السريع لوباء كورونا، والتخفيف من أضراره الوخيمة على الفرد والجماعة، خصوصا ما يتعلق بمعاناة الأغلبية الساحقة من سكان المعمور من مستويات مختلفة من القلق الوجودي الناتج عن هذا الوباء، تبقى محدودة، ولا ترقى الى مستوى التطلعات المنشودة، لأنها تصطدم ببنية مركبة من العوامل والعراقيل النابعة من محدودية نتائج البحث العلمي في محاصرة الوباء، في مقابل استنجاد عدد كبير من الشعوب بما تقدمه المعتقدات الشعبية من حلول روحية وعلاجية لهذه المشكلة النفسية. الشيء الذي يفرض ضرورة القيام بتشخيص دقيق ودراسات ميدانية كفيلة بإبراز طبيعة أثر انتشار جائحة كورونا على توليد القلق الوجودي لدى فئات واسعة من البشر. وفي نفس الوقت، توجيه الجهود للقضاء على كل الأقوال التي تنقص من قيمة الجهود العلمية وتنتصر للمعتقدات الشعبية، وتذليل الصعوبات التي تحول دوان استمتاع الناس بحياتهم الطبيعية في زمن كورونا. هذا المبتغى هو ما تصبو إليه هذه للدراسة، من خلال محاولة معالجة الإشكالية التي يطرحها:

«كيف أثرت محدودية نتائج العلم في تخليص الإنسان من مشكلة القلق الوجودي في زمن كورونا على تقوية الثقة البشرية بالمعتقدات الشعبية؟»

إن هذا الطرح الإشكالي للبحث، يمكن من إضفاء مقاربات متعددة في اتجاه التحليل والمناقشة والمعالجة المخصصة له، دون أن ننسى الوقوف عند الأسئلة الفرعية التي تشكل منحى الإحاطة بكل الجوانب الممكنة لهذه القضية الاجتماعية، وأيضا في منحي رصد وتحديد معالم هذه الإشكالية من خلال تناول الأسئلة الفرعية التالية:

3) الأسئلة الفرعية للدراسة:

هل ميكانيزمات التلهية المناورة هذه التي يمارسها العلم حيال حتمية الموت باتت اليوم مع كورونا عرضة للتعطيل؟

ألا يمكن اعتبار عملية التعطيل المقصودة لمظاهر الحياة البشرية، قرارا لتبرير عجز مراكز العلم عن علاج القلق الوجودي المرتبط بوباء كورونا؟

كيف يحكم المعتقد الشعبي قبضته على البنية الذهنية للإنسان، ويجعلها تنتج تصورات وتمثلات تفتقد للمعقولية والواقعية بخصوص إكمال السيادة البشرية على مكونات الطبيعة؟

4) فرضيات الدراسة:

- انتشار جائحة كورونا في المجتمعات يؤثر سلبا على الحياة النفسية للإنسان، وإصابته بمشكلات القلق الوجودي.

- تجذر المعتقدات الشعبية في المجتمعات البشرية يرفع من نسب عدم الثقة في حقائق العلم.

- نجاح العلم في القضاء على مشكلة القلق الوجودي في زمن كورونا كفيل بتغيير مواقف الناس اتجاه المعتقدات الشعبية.

- القضاء على القلق الوجودي المستبد بالأفراد في زمن كورونا، يستوجب التعاون بين التأصيل العلمي والاعتقاد الشعبي.

5) المفاهيم الاجرائية:

أ) القلق الوجودي: يستعمل للدلالة على الوضعية النفسية التي يشعر فيها الإنسان بمشاعر عدم الارتياح تجاه المواقف التي عبر عنها، أو الاختيار الذي اتخذه، أو الحرية التي يتمتع بها في الحياة. فهو حالة نفسية تنتاب الإنسان، ترافقها أعراض فسيولوجية، تظهر على شكل تصرفات إدراكية وجسدية وسلوكية، تعبر عن الشعور غير السار، والذي يتحول إلى عدم الارتياح والخوف من أحداث متوقعة، مثل الخوف من الموت والمرض وفقدان الأهل والتردد من الإقدام على خطوة تهم فعلا وحدثا في المستقبل. إنه حالة مزاجية تحدث كلما واجه الإنسان تهديدا ملحوظا في حياته الفردية والجماعية، ويتعامل معها باستجابات معروفة كالهروب والتجنب والمواجهة[1]. يقول الباحث الأمريكي دافييد براون «القلق حالة مزاجية موجهة نحو المستقبل وفيه يكون الشخص على استعداد لمحاولة التعامل مع الأحداث السلبية القادمة».[2]

(1) Lisa Feldman Barrett, Michael Lewis, Jeannette M. Haviland-Jones, handbook of emotions, Guilford Publications, New York, 2000, pp 573-593.

(2) Barlow, David H, Unraveling the mysteries of anxiety and its disorders from the perspective of emotion theory, American Psychologis, 2002.

وقد قدم الفيلسوف سورين كيركغور في كتابه» القلق «وصفا دقيقا لما يميز القلق الوجودي بالمقارنة مع باقي الأنواع الأخرى للقلق كالقلق الاجتماعي والقلق النفسي والقلق الاقتصادي والقلق الرمزي، فقد اعتبر أن الميزة الأساسية للقلق الوجودي هو ارتباطه الوثيق بالرغبة المركبة في الذات الإنسانية في تجسيد الحرية المطلقة في كل مناحي الحياة والوجود.(1)

وكما تحدثنا عن أسباب ومصادر القلق الوجودي، نورد الآن بعض الآثار والأعراض التي اتفق المختصون في الدراسات النفسية على تعيينها، فالشخص المصاب بالقلق الوجودي في زمن كورونا، غالبا ما يعاني قلة النوم، وضعف التركيز، وحساسية زائدة من الهلع من الآخرين، و الخوف من المستقبل، وعدم الإحساس بالراحة، وبحثه المستمر عن الحلول الدائمة للتعاطي مع هذا الواقع الجديد الذي خلقه وباء كورونا، وسعيه لتمتين علاقاته مع سائر الموجودات بشكل يضمن الراحة الذاتيّة للشخص، ويحقق تفوقه الفكري والروحي والنفسي والاجتماعي، ويدعم سيطرته على ماهيّة واقعه وحياته ومحيطه و عالمه. أمام هذا التناقض الذي يتسم به الوجود الإنساني في زمن كورونا، فهو من جهة وجود متميز قادر على إيجاد عناصر التآلف مع كل المستجدات والمتغيرات التي تلحق الواقع الذي يعيش فيه، ومن جهة أخرى، فهو وجود هش، يفقد صوابه وتوازنه، ويعيش اضطرابا، كلما لحقته أزمة كيف ما كان نوعها، ولم يستطع التفاعل الإيجابي معها. الشيء الذي يسبب له الألم النفسي العميق، والتوتر السلوكي المستمر، والاضطراب الحركي غير الطبيعي، وفقدان التوزان المطلوب في أفعاله وأقواله ومواقفه، وقد تصل درجة هذا القلق إلى مستوى الاعتداء على الذات أو الغير.

ب) الزمن الوجودي: للزمان دلالات مختلفة، تتباين بتباين المقاربات التي تطرق إليه، فمفهوم الزمان في الدراسات الاجتماعية ليس هو مفهوم الزمن في الدراسات النفسية، وليس هو مفهوم الزمان في المنظور الأنثروبولوجي والديني والبيولوجي. ورغم ذلك، فجميع الثقافات والحضارات وأنماط الفكر الإنساني تعاملت مع مفهوم الزمان كظاهرة طبيعية تشترك فيها

(1) صنف اللاهوتي بول تليك القلق الوجودي إلى ثلاث فئات للغير كائن التي تؤدي للقلق : مادية (المصير والموت)، وأخلاقية (الذنب والإدانة)، وروحية(الخواء وعدم وجود معنى). فوفق منظور تليك، آخر هذه الأنواع الثلاثة من القلق. الوجودي، أي القلق الروحي، هو السائد في العصر الحديث بينما سادت الأنواع الأخرى في فترات سابقة. يناقش تليك بأن هذا القلق يمكن أن يكون مقبولا كجزء من ظروف الإنسان أو أنه يمكن أن يقاوم ولكن مع نتائج سلبية. في شكله المرضي، وقد يميل القلق الروحي إلى «تحريك الشخص نحو يقين في نظم المعنى التي تدعمها التقاليد والسلطة...».

جميع الكائنات الحية، وكمادة خام تدل على مجرى الأحداث، باستعمال الساعات والأيام والأعوام والقرون والعصور.

فكلمتا Time؛ Tide ذات أصول ألمانية وإنجليزية وتعنيان معا الزمان والمد (في البحر)، فهو يصف «كيف» يتحرك الزمان أشبه بحركتي المد والجزر في مياه البحر واستمرارها بطريقة يمكن ملاحظتها وقابليتها للقياس، وباختصار فالزمن يشير إلى حركة الأحداث وطريقة قياسها ويعني مجازيا حركة التاريخ وأحداثه.(1)

ج) **التأصيل العلمي**: أصبح مفهوم التأصيل العلمي في مجال العلوم الطبيعية والإنسانية مثار نقاش وجدال بين مختلف التيارات الفكرية والاتجاهات العلمية، خصوصا في الفترة الحالية التي تتسم بعودة مجموعة من أنماط المعرفة الإنسانية لمنافسة العلم والتضييق عليه في السيادة التي ينفرد بها في الحياة المعاصرة. وتكمن أهمية البحث في موضوع تأصيل العلوم في تبيان الكيفية التي ساهم بها العلم في تحقيق التقدم الحضاري والمعرفي والتقني في المجتمعات البشرية، وإبراز السجال المفتوح هو طبيعة هذه المساهمة وحدودها ونتائجها بين التيارات السائدة في المجتمع، أي بين التيارات المدافعة عن إطلاقية وحرية عمل العلم، والتيارات المحافظة التي تنادي بتقنين نطاق البحث العلمي، ووضعه تحت المراقبة المجتمعية.

الأصل في اللغة: يأتي بعدة معانٍ، منها الأصل للشيء وجمعه أصول، وهو ما يُبنى عليه غيره حسيًّا ومعنويًّا، وأصل الشيء أساسه الذي يقوم عليه الشيء ومنشؤه الذي ينبت منه، وتأصيل الشيء إثبات أصله، يقال: رجل أصيل ثابت الرأي والعقل، وأصل الشجرة جذورها.(2)...

كما أن مصطلح تأصيل يدل على اندراج مشكلة تأصيل العلوم تحت مشكلة أشمل هي مشكلة(3) التأصيل العلمي الذي يراد به الاستناد إلى أصل واضح ومتماسك في نظريات ونتائج العلم وهذا الأصل إما أن يكون نظرية علمية سابقة أو منهج علمي دقيق أو مفهوم مركزي في علم ما أو بنية علمية تضم فروعا متقاربة في الموضوع. فالتأصيل العلمي معناه أن يأخذ الباحث بأصول وقواعد وشروط البحث والتنقيب في علم ما، ويعتني بالموضوعية المطلوبة في صياغة مفاهيمه، وأن يبني نظرياته على أصول متينة ودقيقة. وهذا المراد لن يكون متاحا

(1) Gilman, Robert, The Importance Of Time: https://www.context.org/iclib/ic02/gilman3/

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الجيل، بيروت، 1408، ص68.

(3) الجابري، محمد عابد، مدخل إلى فلسفة العلوم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994م، ص5.

للباحث إلا من خلال التزامه بدراسة الظواهر الطبيعية والإنسانية باعتماد المداخل المنهجية الوضعية التي تدعو للتحلي بالموضوعية التامة بالتجرد من الأهواء والأفكار المسبقة عند إجراء البحوث والدراسات الاجتماعية والطبيعية.

هذا المفهوم الكلي للتأصيل للعلم لا يتحقق إلا من خلال محاولة تقديم تفسير علمي سليم لنتائج البحث حول ظاهرة أو موضوع معين، هذا التفسير العلمي يستوجب عرض مدى مطابقة تعميم نتائج هذا البحث الجزئية على أصولها العلمية، ليكون بذلك هذا العرض أحد وظائف فلسفة العلم[1]. فعلاقة الباحث مع مفهوم التأصيل العلمي تتجسد على شكل سيرورة تستهدف إعادة صياغة المعرفة على أساس متغيرات ومستجدات الواقع الاجتماعي والطبيعي، ومراجعة لكيفية تحديد وترتيب المعلومات الخاصة بموضوع أو ظاهرة سبق للعلم أن اشتغل عليها، ومن تم ضرورة تحيين الاستنتاجات والخلاصات، والقيم بتقييمها وفحصها. فالتأصيل العلمي هنا لا علاقة له بالأصالة والتراث، ولا ينطبق على ما اعتاد الناس على استعمالها عند استدعاء الزوج المفهومي أصالة/ معاصرة، «إنه أولاً وقبل كل شيء مسعى نظري، يروم إلى تأكيد كونية العلوم والمعارف التي تتوخَّى تعيين قواعد للظواهر الإنسانية بالانطلاق من المبدأ التاريخاني العام الذي يقبل مبدأ التشابه النسبي والتاريخي للظواهر الإنسانية، ويقبل نتيجة ذلك إمكانية المثاقفة رغم صعوبة شروطها ومتطلباتها».[2]

د) **المعتقد الشعبي:** يصنف مفهوم المعتقد الشعبي ضمن خانة الظواهر الاجتماعية والبنيات الثقافية التي يعود وجودها ونشأتها إلى عصور سحيقة ممتدة في الزمان الغابر، والتي تشكل خاصية مشتركة بين جميع الشعوب والأجناس، ودعامة أساسية يستحضرها الكائن البشري في يقظته ونومه، في سكونه وحركاته، في سعادته وشقائه. ورغم قدم هذه المعتقدات الشعبية، فإنها لم تنل بعد حظها الكامل من الدراسة والتحليل العلميين، وهو ما انعكس على عدم بلورة مصطلح متفق عليه، للدلالة على مضمونها الروحي، وحمولتها الفكرية، وقدسيتها الرمزية.

(1) صبري، محمد خليل، مقدمه في الفلسفة وقضاياها، الجمعية الفلسفية، جامعه الخرطوم، الخرطوم، 2005، ص21.

(2) كمال، عبد اللطيف، التأويل والمفارقة نحو تأصيل فلسفي للنظر السياسي العربي، المركز الثقافي العربي، المغرب - الدار البيضاء، 1987، ص87.

يستعمل مفهوم المعتقد الشعبي في مجال الدراسات الاجتماعية للدلالة على مجموعة الأفكار والمعتقدات والطقوس التي يؤمن بها مجتمع ما، ويلتزم بالخضوع لها، ويطلق منهاجها ومضمونها في حياته اليومية، خصوصا ما يتعلق بتنظيم علاقته بالعالم الفيزيقي والعالم ما وراء الفيزيقا. وتجسد هذا المعتقدات الشعبية منظور ورؤية الإنسان لكل العناصر المتدخلة في تشكيل حياته الاجتماعية، وتقنين تصرفاته وأفعاله وسلوكاته مع الآخرين، فهي نسق من التعاليم والأفكار والشعائر التي يعتقد بها الفرد اعتقادا جازما، ويصدق مضمونها المعرفي والروحي تصديقا تاما، بحيث لا يقبل الشك فيها مهما وقع، ويستنجد لها لإضفاء الحكمة والرشد والقبول على مواقفه الشخصية والجماعية. يعني المعتقد الشعبي يعني بشكل عام التصديق الجازم بشيء ما، ويعد اليقين والإيمان أسمى درجات المعتقد، ويقومان على تصديق جازم لا يقبل الشك، وليس من الضروري أن يقوم كل معتقد على حجج منطقية، ويرجع كثير من معتقداتنا السائدة إلى شيء من التسليم والثقة بما قاله الآخرون، القدامى والمعاصرون[1].

من خلال ما سبق، يمكن القول إن المعتقد الشعبي يندرج ضمن الموروثات الثقافية التي تلقى إقبالا لدى الأفراد بغض النظر عن انتمائهم الاجتماعي ولا مستواهم التعليمي، ويرفضون المساس بجوهرها، ويتقنون من قدرتها العجيبة على مساعدتهم في لحظة الشدة، وإسعادهم في لحظة الرخاء، وينصاعون لسلطتها المطلقة، ويحافظن علة محتواها في وعيهم الاجتماعي وفي ممارساتهم السلوكية، ويجسدونها عبر مجموعة من الأفعال والطقوس الاجتماعية والثقافية المادية والرمزية.[2]

إن المعتقد الشعبي بصفة عامة، هو إرث تناقله الأجيال فيما بينهم، وورثوه أبا عن جد، ومن خلال الاسم المعتقد- الذي يدل على نفسه، أي من فعل اعتقد يعتقد في اللسان العربي، طالما شغل بال المعتقدين بها، وطالما شغل بال الدارسين والباحثين المهتمين به، إذ أصبحت هذه المعتقدات في كثير من الأحيان مسلمات يؤمن بها من عاش حادثا يتوافق مع المعتقد

(1) الساعاتي، سامية، الشباب العربي والتغير الاجتماعي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 1، 2003، ص 215.

(2) يعرف منير البعلبكي المعتقد الشعبي بأنه «معالجة الأمراض بطرائق تقليدية أو مكتسبة عن طريق الخبرات المتوارثة جيلا بعد جيل، لا بطرائق علمية أو مكتسبة عن طريق الدراسة في كلية من كليات الطب». البعلبكي، منير، موسوعة المورد، دار العلم للملايين، بيروت، 1983، ص 147.

الذي يجول في ذهنه، وغالبا ما تستمد هذه المعتقدات من حوادث تصادف شيئا ما، كموت أحد في المنزل الذي تنعب (تصرخ) فيه البومة، والإفراط في تبذير المال لمن جاءته حكة في يده اليسرى، إضافة إلى جوانب أخرى لها من الطقوس ما يربطها بثقافات الشعوب، فهناك ما يرتبط بالحيوانات وتصرفاتها، وهناك ما يرتبط بالنساء دون غيرهم من الرجال، وعكس ذلك، وما يرتبط بطقوس زيارات الأضرحة، كما يمكن تصنيف هذه المعتقدات حسب نفسية المتأثرين بها، فمنها ما ينذر بالشؤم والسوء، ومنها ما يبشر بالخير والفرح.[(1)]

هـ) **جائحة كورونا:** ينتمي فيروس كورونا إلى فصيلة كبيرة من الفيروسات التي تسبب المتاعب الصحية والعلل المرضية للكائنات الحية كالحيوان والإنسان، وقد يصل انعكاسها إلى مستوى تهديد حياة الإنسان ووجوده. ومن المعروف أن عدداً من الفيروسات تسبب للكائن البشري حالات من العدوى، تصيب الجهاز التنفسي بنزلات البرد الشائعة والأمراض الزكامية والحمى والاختناق، وهي كثيرة منها متلازمة الشرق الأوسط التنفسية والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (السارس). وبالنسبة لفيروس كورونا المُكتشف مؤخراً مرض فيروس كورونا المستجد كوفيد-19. وقد اكتشف هذا الفيروس مؤخرا في مدينة يوهان الصينية في كانون الأول/ ديسمبر 2019. ولم تعرف أسباب ظهوره لحد الآن. وتتمثل أعراضه الأكثر شيوعا في الحمى والإرهاق والسعال الجاف. وقد يعاني بعض المرضى من الآلام والأوجاع، أو احتقان الأنف، أو الرشح، أو ألم الحلق، أو الإسهال. وعادة ما تكون هذه الأعراض خفيفة في البداية، وتبدأ تدريجياً في الارتفاع من درجة خطورتها. ويصاب بعض الناس بالعدوى دون أن تظهر عليهم أي أعراض، ودون أن يشعروا بالمرض. ويتعافى معظم الأشخاص (نحو 80%) من المرض دون الحاجة إلى علاج خاص. وتشتد حدة المرض لدى شخص واحد تقريباً من كل 6 أشخاص يصابون بعدوى كوفيد-19 حيث يعانون من صعوبة التنفس. وتزداد احتمالات إصابة المسنين والأشخاص المصابين بمشكلات طبية أساسية مثل ارتفاع ضغط الدم أو أمراض القلب أو داء السكري، بأمراض وخيمة.

6) **عينة الدراسة:** بدأت إجراءات الدراسة خلال الفترة الربيعية من عام 2020،واختيرت عينة البحث وفقا شروط أهمها العلاقة المباشرة بالموضوع، حيث روعي في هذه العينة أن

---

(1) بوخو، لبنى، Analyse des croyances? travers quelque dictons Rifians، قراءة محمد الهاشمي، كلية الآداب والعلوم الانسانية، وجدة، 2010، ص 10.

تشمل جميع مناطق امنتانوت، حيث بلغت أربعة عشر أسرة، مرت بتجربة المعاناة من مشكلة القلق الوجودي في زمن كورونا.

7) **أداة الدراسة:** إن تنوع المتدخلين والفاعلين في مجال رصد أثر محدودية نتائج العلم في تخليص الإنسان من مشكلة القلق الوجودي في زمن كورونا على تقوية الثقة البشرية بالمعتقدات الشعبية، وما ينتج عن هذا التنوع في تعدد أساليب وأليات وأدوات هذا الرصد، تفرض ضرورة تنويع تقنيات جمع المعطيات انسجاما مع الطبيعة الاستكشافية الميدانية للموضوع وبغية الالمام الشامل بتفاصيله. وفي هذا الصدد سيتم اعتماد تقنية واحدة:

- تقنية المقابلة: أعدت مقابلة للبحث بناء على عدد من القراءات المنهجية حول أثر محدودية نتائج العلم في تخليص الإنسان من مشكلة القلق الوجودي في زمن كورونا على تقوية الثقة البشرية بالمعتقدات الشعبية، والمؤشرات التي تنضوي تحتها مجموعة من الأسئلة المتعلقة بمواقف أفراد العينة وآرائهم حول الموضوع، وذلك بغية تجميع البيانات بطريقة شفوية مباشرة عن بعد، من خلال استجواب عينة من الأسر (حوالي 14 أسرة)، لا تريد التعبير عن آرائها ومشاكلها عبر الكتابة، وتفضل التعبير عنها بطريقة شفوية مباشرة وجها لوجه. لقد استخدم الباحث المقابلة كأداة للدراسة، وذلك لمناسبتها لهدف الدراسة وطبيعة أفراد العينة. وقد ضمت أسئلة المقابلة أربعة محاور: يختص المحور الأول ببيانات شخصية وعائلية عن الأسرة المبحوثة، ويختص المحور الثاني برصد أسباب ارتفاع القلق الوجودي في زمن كورونا، بينما يختص المحور الثالث بتبيان أثر محدودية نتائج العلم في تخليص الإنسان من مشكلة القلق الوجودي في زمن كورونا على تقوية الثقة البشرية بالمعتقدات الشعبية، ليتناول المحور الرابع والأخير بعض الحلول التي يقترحها أفراد العينة للتصدي لهذه الظاهرة.

إذا كان الهدف الأساسي من الدراسة هو رصد أثر محدودية نتائج العلم في تخليص الإنسان من مشكلة القلق الوجودي في زمن كورونا على تقوية الثقة البشرية بالمعتقدات الشعبية، وكذا تشخيص وظائف أسباب هذه الظاهرة وتجلياتها وأبعادها المختلفة، من اجل الخروج باستنتاجات وخلاصات تقارب هذه الإشكالية من كل جوانبها الممكنة، فإننا حرصنا كل الحرص على أن يكون مضمون المقابلة ترجمة لفرضيات البحث وإشكاليته، مما حتم علينا منح أهمية كبرى لتحضير أسئلتها وإعداد مضامينها وتجريبها المؤقت، ثم ترميم نواقصها في توزيعها.

بسلوكنا هذه الخطوات، توصلنا في النهاية إلى وضع هيكلة المقابلة المتمثلة في 34 مؤشرا أساسيا، يكون المبحوثون بواسطتها مطالبين بالإجابة على أسئلتها، وهذا الاختياريكون له عدة مبررات موضوعية، تتجلى في الرغبة في الحصول على إجابات واضحة ذات قيمة تشخيصية، وسهولة تفريغ نتائج المقابلة، وتجنب الضبابية وكل أشكال اللبس في صياغة محاورها، وسهولة قياس الظاهرة انطلاقا من نتائجها التي تم جمعها عن طريق استجواب أفراد العينة.

8) **طبيعة ونوع الدراسة:** في ظل افتقار الدراسات السابقة لشرط التحيين في المعطيات والمؤشرات، وذلك في حدود معرفتنا، تصنف الدراسة الحالية ضمن البحوث الاستكشافية التحليلية التي تتوخى الكشف والتوسع في تحليل جوانب الاشكالية واغناء التراكم المعرفي للظاهرة بمؤشرات جديدة محينة.

9) **منهج الدراسة:** اعتمدنا لإلقاء الضوء على حيثيات الاشكالية الواردة في البحث، على المسح الاجتماعي، والمنهج الاستكشافي الاستطلاعي، وذلك لأن مجال البحث جد واسع، فهذا المنهج يتيح جمع معطيات ميدانية كافية نسبيا للدراسة العلمية للموضوع.

10) **حدود الدراسة:** يتحدد إطارهذا البحث في ثلاثة حدود رئيسية، الحد الأول يتعلق بالتحديد المكاني، حيث تم اختيار مدينة امنتانوت كمكان لإجراء الدراسة لاعتبار أساسي، يتجسد في كونها مدينة شديدة الارتباط بالمعتقدات الشعبية رغم المجهودات المبذولة لنشر الوعي بأهمية العلم والمعرفة. والحد الثاني ينصب على التحديد الزمني، حيث أجريت الدراسة خلال الفترة الربيعية من عام 2020 وذلك بالتوزيع المباشر لأدوات البحث، والحد الثالث اهتم التحديد الموضوعي، حيث تم تحديد الإطار الموضوعي للبحث باستطلاع اراء وتصورات الأسرة حول أثر محدودية نتائج العلم في تخليص الإنسان من مشكلة القلق الوجودي في زمن كورونا على تقوية الثقة البشرية بالمعتقدات الشعبية بمدينة امنتانوت.

11) **دواعي الدراسة:** تجلت في اعتبارين أساسيين، أولهما اعتبارذاتي، يتجسد بالخصوص في معرفتنا لهذا الموضوع الذي ارتبطنا به من حيث التكوين والنشاط المهني المتراكم، من هنا فإن هذا العامل سيساعدنا إلى حد كبيرفي إجراء الدراسة في ظروف مناسبة. ينضاف إلى ذلك الرغبة والاهتمام الشخصي بمسألة استقرارالحياة الاجتماعية والنفسية للأفراد، خصوصا تخليص الإنسان من مشكلة القلق الوجودي في زمن كورونا، وثانيهما اعتبارموضوعي، يتمثل في ضرورة معرفة الواقع الحقيقي ... وتحقيق مقاربة ميدانية بكل تجلياته؛ بحيث تعتبرهذه الدراسة ضرورة علمية وشرطا أساسيا لمواجهة التحديات المتنامية التي يفرضها الموضوع .

12) أهمية الدراسة: تستند اهمية الدراسة الى عدد من الاعتبارات، فالواقع العلمي يبرز أن الأبحاث العلمية التي تباشر قضية أثرت محدودية نتائج العلم في تخليص الإنسان من مشكلة القلق الوجودي في زمن كورونا على تقوية الثقة البشرية بالمعتقدات الشعبية» قليلة تعد على رؤوس الأصابع، ولا سيما في هذه الظرفية الصعبة التي تمر بها البشرية، ونظرا لما تمثله هذه القضية – كما سبق أن أشرنا – من حساسية وخصوصية، فلا تخفى على أحد أن أغلب الدراسات التي تتناول هذه القضية تأخذ طابعا نظريا وتقنيا محضا . وفي هذا السياق يمكن تصنيف هذه الدراسة ضمن الأبحاث التي تواجه هذه الاشكالية ميدانيا في الواقع البشري. كما تتسم هذه الدراسة بالجرأة في الرح، حيث تباشر الدراسة هذه القضية على الرغم من حساسيتها في إطار معالجة القضايا المجتمعية مهما كانت درجة حساسيتها وخصوصيتها. ونتوخى من هذه الدراسة، كما تم الإشارة إليه في مدخل هذا البحث، دراسة محدودية نتائج العلم في تخليص الإنسان من مشكلة القلق الوجودي في زمن كورونا مقابل الثقة بالمعتقدات الشعبية، ميدانيا بمدينة امنتانوت التابعة لإقليم شيشاوة والمنتمية جغرافيا وإداريا إلى جهة مراكش - أسفي.

13) أهداف الدراسة : تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الأساسية، منها التعرف على طبيعة العلاقة القائمة بين عودة القلق الوجودي وتفشي وباء كورونا لدى الأسر في المجتمع، والتعرف على مفهوم القلق الوجودي في زمن كورونا كحالة نفسيّة وفسيولوجيّة تتركّب من تظافر عناصر إدراكيّة وجسديّة وحسيّة نابعة من التأثر المباشر بالمشاهد الأليمة لانتشاروباء كورونا، وما ينتج عنه من خلق شعور غيرسارّ يرتبط عادةً بعدم الارتياح والخوف والتردّد والشك والاكتئاب، و فهم الطريقة التي يجعل بها فيروس كورونا القلق الوجودي يتفاعل كبعد نفسي مع باقي أبعاده المتداخلة مناعياً وطبياً وتكنولوجياً وسياسياً، وتبيان الفوارق في كل من القلق الوجودي وانتشاروباء كورونا لدى أفراد هذا الأسر تبعا لمتغيرات التمسك بالدين والمستوى التعليم والانتماء الاقتصادي ؛

14) تفسيرالنتائج: من خلال الدراسة الميدانية التي اعتمدت على إجراء مقابلات مباشرة عن بعد مع عينة من الأسر، والتي عانت من القلق الوجودي في زمن كورونا، تبين أن إشكالية أثر محدودية نتائج العلم في تخليص الإنسان من مشكلة القلق الوجودي في زمن كورونا على تقوية الثقة البشرية بالمعتقدات الشعبية بمدينة امنتانوت، ظاهرة بنيوية متعددة الأبعاد، لا يمكن مقاربتها من زاوية واحدة، فقد تظافرت عوامل مختلفة ثقافية، اجتماعية

واقتصادية في استفحالها، الشيء الي يجعلها تنعكس سلبا، بشكل واضح، على تراجع الثقة في نتائج وحقائق العلم وارتفاع مصداقية الاعتماد على المعتقدات الشعبية.

النتيجة الأولى: انتشار تصورات محدودية نتائج العلم في تخليص الإنسان من مشكلة القلق الوجودي في زمن كورونا بمدينة امنتانوت، بساعد على تقوية الشعور بالثقة بالمعتقدات الشعبية، فلقد تبين من خلال عملية استقراء نتائج المقابلة الميدانية مع أفراد العينة، أن ظاهرة معاناة الفرد من القلق الوجودي في زمن كورونا، مشكلة اجتماعية ونفسية عويصة تؤرق الجميع، نظرا لما لها من نتائج سلبية على الاستقرار الاجتماعي والنفسي والاقتصادي للأسر. فبالنسبة ل 95% من الأسر المستجوبة، فقد ساهمت مظاهر العزل المنزلي وعدم التخالط الاجتماعي المفروضة في إطار إجراءات الطوارئ الصحية، في رفع نسب القلق والهلع من انتقال العدوى والخوف من المستقبل والضغط النفسي الناجم عن العزل في المنازل لدى عامة الناس، والذي بخلف تأثيرات سلبية على الصحة النفسية والجسدية للأفراد والجماعات، كما أن 45% من هذه الأسر، ارتفع لديها الوعي بكون هذا الوباء يهدد حاضر ومستقبل البشرية، ويجعلها أمام مشكلة القلق المزمن والخطر الوجودي والذي لا يمكن لأي إنسان أن يفلت منه في جميع أرجاء المعمور. كما عبرت نسبة 80% من الأسر المستجوبة أن الإغلاق الطويل المفروض عليها، والذي لا يبدو أنه سينتهي قريبا، ولد لدى أفرادها ما يسمى بالانفعال العصابي الناتج عن الملل والروتين اليومي للحياة. ينضاف إلى ذلك، أن 70% من الأسر المستجوبة لا تعتبر ما تعانيه من القلق بسبب وباء كورونا أمرا عاديا وطبيعيا، بل هو مشكلة نفسية معقدة وصعبة المراس.

يتضح إذن من خلال تفسيرهذه المعطيات، أن خصوصية أزمة كورونا الصحية والنفسية، تتسم بالطابع الشمولي في انتشارها وأضرارها، خطورتها تكمن في عدم القدرة على التنبؤ بتطورها ومسارها وبنهايتها، فهي لا تفرق بين الأفراد والمجتمعات، ولا تخضع لمعايير مسبقة ومقاييس محددة في انتقاء ضحاياها، فهي تهاجم بشراسة غير مسبوقة الشعوب الإنسانية على اختلاف مكوّناتها وطبقاتها، ومستويات تقدمها، فلا تستثني لا الأجساد ولا العلاقات الاجتماعية ولا المشاعر النفسية ولا البنيات الذهنية. لهذا، فالإنسان بات اليوم مذهولاً من سرعة انتشار الوباء، وقلقا على المصير الذي ينتظره، ومعطّلاً عن الإنتاج والعمل، ومعاقا عن التواصل الاجتماعي والطبيعيّ مع الآخرين، وممنوعا من ممارسة هواياتها المفضلة، ومهددا بجرثومة القلق والخوف والتوجس من المستقبل.

النتيجة الثانية: سيطرة المشاهد المؤلمة لضحايا فيروس كورونا، وسرعة انتشاره بين البشرية يرفع من نسب القلق الوجودي الذي ينتاب مشاعر أفراد الأسرة. فالغالبية من الأسر تعمد إلى ربط ارتفاع مستويات القلق الوجودي لديها في زمن كورونا بأسباب متعددة، فنسبة96% من الأسرة المستجوبة، ترى أن السبب الرئيسي لهذا القلق هو عدم وجود دواء ناجع للمرض، بينما نسبة 3% من الأسرة من تفسر هذا القلق بعجز العلم عن مساعدة البشرية في النجاة من ويلات هذا المرض. لقد أكدت عملية تحليل نتائج البحث الميداني لأسباب القلق الوجودي عند الأسرة في زمن كورونا، أن الخلاف حول هذه الأسباب يبقى متعلقا بنوعية منظور كل أسرة للمرض، ونمط التفاعل مع الأخبار المذاعة حوله، فالسبب الإعلامي هو المهيمن على تصورات الأسرة لصورة المرض بنسبة تصل إلى 83%، يليه السبب النفسي المتمثل في تدابير الطوارئ الصحية بنسبة 70%، ثم تأتي بعد ذلك باقي الأسباب، وهي على التوالي السبب التقني بنسبة 17%، والسبب الاجتماعي fنسبة 10%، والسبب الاقتصادي بنسبة 8%.

نستنتج من خلال ما سبق، أن أسباب القلق الوجودي في زمن كورنا تتعد وتتنوع، بحيث تشمل ما هو نفسي وعلمي وعضوي واجتماعي واقتصادي وثقافي وذهني. فالإنسان يرى أن فيروس كورونا يسبب له القلق والهلع، وذبك بسبب عدم وضوح الرؤية العلمية حول تكوينه العضوي وطبيعته الوبائية وماهيته الجرثومية ومساره الطبي، الشيء الذي يضع بمصيره ووجوده وأمنه تحت التهديد المستمر والمباشر، ويزيد من خطورة هذا التهديد الطريقة الغريبة والسريعة التي ينتشر بها الفيروس مجاوزا بذلك كل القواعد العلمية والطبية المعروفة والجاري بها العمل في هذا الصدد. وتتأثر نفسية الإنسان بشكل مباشر بالعدد الكبير لضحاياه في مختلف البلدان، سواء تعلق الأمر بأرقام الإصابات التي تأخذ دائما منحى تصاعديا، أو بإحصائيات الوفيات التي تشمل مختلف الأعمار والأجناس. وهكذا، فقط ارتبطت جائحة كورونا في مخيلة الإنسان وبنيته الذهنية بتصورات الخطورة الشديدة للمرض، وثقافة الفزع الإعلامي التي تحيط به، والتي تنمي الإحساس بالقلق الوجودي والخوف المرضي. وقد أعادت سرعة انتشار العدوى بالفيروس بين البشر إلى الأذهان تلك المخاوف والفوبيا التي ترسخت لدى الكائن البشري حول ظاهرة الموت، وما يرتبط بها من القلق المزمن على فقدان الوجود للذات أو لغيرها من الأقارب والأصدقاء.

النتيجة الثالثة: انتشار القلق الوجودي بين الأسر في زمن كورونا، يرتبط بعناصر أخرى تتجاوز الأسباب المشار إليها أعلاه، فالواقع الراهن المعاش للأفراد والأسر، مازال تحت صدمة مشاهد طقوس دفن ضحايا وباء كورونا، ومناظر جثامين الأموات التي امتلأت بها ثلاجات المستشفيات وقاعات التزلج الفني وشاحنات التبريد، وأنين الناس ضد القواعد الصارمة للعزلة المفروضة على الشعوب، وهول الإقفال الكبير للأنشطة الاقتصادية والرياضية والثقافية والفنية. فقد أكدت نسبة 66,67% من الأسر المستجوبة أن الآثار المباشرة لفيروس كورونا في قتل إصابة الآلاف من الناس في ظرف وجيز، ساهم في خلق مشاكل نفسية لديهم بفعل القلق الوجودي الذي يسيطر عليهم حول المصير الذي ينتظرهم في حال وقوعهم ضحية لهذا المرض. كما عجلت النتائج الاقتصادية السلبية التي يخلفها المرض، بمعاناة الأفراد والأسر من مستويات مختلفة من القلق الوجودي، بحيث يلعب الخوف من المجاعة، والوقوع في شباك العطالة دور المحرك للشعور بالقلق لدى نسبة 54% من مجموع الأسر المستجوبة.

إن الحديث عن القلق الوجودي الذي تقاسيه المجتمعات البشرية جراء تفشي جائحة كورونا بين الناس، لا يستقيم دون استحضار الأثر النفسي والاجتماعي لفيروس كورونا على الفرد والمجتمع. فقد ساهم الانتشار السريع لفيروس كورونا بين الأفراد، وبلوغه مناطق بعيدة من بؤرته الأصلية في مدينة وهان الصينية في زمن قياسي، وتسببه في موت وهلاك عدد كبير من الناس من مختلف الأعمار والأجناس، بالإضافة إلى صعوبة تكيف الإنسان مع ظروف الحجر المنزلي، وما يرتبط به من مشاعر الخوف من المستقبل ومواجهة المجهول، خصوصا وأن مدة هذا الحجر الصحي غير معروفة، وعدم التوفر على معطيات دقيقة عن الكيفية التي سيرفع بها الحجر الصحي، ولا الطريقة التي ستتم العودة فيها إلى الحياة الطبيعية، والخروج من هذه الأزمة وما سيحصل بعد الانتهاء منها، سبب ويسبب آثارا نفسية واجتماعية عميقة على الفرد كما على المجتمعات.

النتيجة الرابعة: بالرغم من هذه الآثار السلبية التي تسببت فيها جائحة كورونا لدى غالبية الأفراد والمجتمعات، فإن نسبة مهمة من الأسر المستجوبة ترى أن معاناتها مع تبعات القلق الوجودي في زمن كورونا، لا يخفي التأكيد على وجود تأثيرات إيجابية لهذا الوباء، وإن كان مفعولها لن يظهر الآن، ولكن سيتضح للجميع بشكل كبير بعد نهاية فترة الحجر الصحي. فنسبة 65% من الأسر، عبرت عن استفادتها من هذه الكارثة لتعميق ثقافتها الصحية، والرفع من مستوى وعيها التضامني، وإعادة الدفء لعلاقتها العائلية والاجتماعية، كما أن نسبة

35% من أفراد الأسر المستجوبة، استغلوا فترة الحجر الصحي لتأمل مسار حياتهم، واكتشاف أسباب إخفاقهم في بعض المحطات واللحظات، وعوامل نجاحهم في أخرى، فقد شكلت لهم هذه الظرفية الخاصة فرصة لممارسة ما يسمى بسلوكات العودة العميقة إلى الذات.

وخلاصة القول، فإن تصريحات أفراد العينة، تبين أن الصورة المأساوية المرسومة لوباء كورونا في أذهان الناس، وفي تمثلاتهم الصحية والنفسية والاجتماعية حول المرض، لا تحول دون الكشف عن بعض الجوانب الإيجابية التي تنطوي عليها جائحة كورونا. فرغم أن هذه الفوائد لا تظهر للعيان بشكل جلي، ولا يمكن تلمس نتائجه حاليا، ولكونها تبقى في الهامش بفعل انشغال الجميع بأضرار الوباء ومخلفاته السلبية، فإن المنطق السلبية لهذا الدراسة يفرض الوقوف عند بعض هذه التبعات الإيجابية، والتي تحدثت عنها لعض الأسر المستجوبة.

النتيجة الخامسة: ضمان حياة نفسية واجتماعية سليمة في زمن كورونا للأفراد والجماعات، يقتضي حسب الأسر المستجوبة قيام الجميع بتحمل مسؤوليته، فنسبة 90% من أفراد العينة يرون أن قيام الجهات المسؤولة لمدوره الكامل في السهر على حسن تطبيق حالة الطوارئ الصحية، كفيل بمنع وقوع مزيد من الضحايا بسبب وباء كورونا، وهو عمل أساسي في تجاوز الجميع لحالة القلق الوجودي الذي يعيشه العالم بأسره. وفي المقابل، تؤكد نسبة 70% من الأسر المستجوبة على أن الإنسان كمواطن وكعضو في المجتمع، يتحمل مسؤولية كبيرة في تفشي فيروس كورونا، فحينما لا يلتزم بقواعد الحجر الصحي، ولا يعتاد على قواعد النظافة، ولا يبحث عن المعلومة الصادقة من مصادرها الرسمية، من الطبيعي أن يصاب بالعدوى، وينقلها إلى أناس أبرياء. فنوع السلوك الفردي عامل حاسم الحد من انتشار المرض، تفادي كل أنواع القلق الناتجة عنه، وبالتالي تمكين الجميع من التمتع بمعيشة كريمة، والترعرع في جو يوفر كل الشروط الملائمة لحياة كريمة، تصون الحقوق، وتلبي الحاجيات المختلفة، وتستجيب للطموحات والرغبات

يتضح إذن أن القضاء على جائحة كورونا، وتجنب مشكلاتها النفسية والاجتماعية، أمر ممكن، وفي متناول الجميع، وليس من باب المستحيلات. فبالرغم من حالة القلق التي يعيشها معظم الناس في جميع دول العالم، فإن الحفاظ على الصحة النفسية متاح للجميع، شريطة التقيد بالنصائح والإرشادات الصادرة عن الجهات المختصة، والتي بإمكانها مساعدة الجميع على مواجهة هذه الأزمة.

النتيجة السادسة: لقد انساق الناس بقوة اليوم أما إغراءات المعتقدات الشعبية، ووثقوا في وصفاتها السحرية والجاهزة لمواجهه هذا «الوحش الاسطوري» المتمثل بالفايروس المتناهي الصغر، حتى دون البحث عن أصلها ومصدرها، ولا الخوض في مدى صحتها ودقتها ومدى مطابقتها للآراء العلمية. و زاد من إقبال الناس على هذه المعتقدات، سهولة الوصول إلى مضامينها و توجهاتها عبر مواقع التواصل الاجتماعي وشبكات الانترنيت وتطبيقات الهاتف النقال، وكل الوسائل التقنية التي تيسر عملية تبادل للرسائل القصيرة حول كل ما يتعلق بهذا الموضوع. فالهم الشاغل للناس اليوم هو كيفية التخلص من القلق الوجودي المسيطر عليهم، والطريقة المثلى لتجنب الوقوع في شباك العدوى بالفيروس لغض النظر عن نوعية الوسيلة المتبعة، فلا يهم إن كان الأمر يتعلق بالمعرفة العلمية الصحيحة، أو المعتقدات الشعبية الشائعة، فالمهم هو الحصول على نتائج نفعية وواقعية وسريعة.

إن ارتباط فيروس كورونا بالموت في المخيلة الذهنية للإنسان، كان وراء استنجاده بخدمات المعتقدات الشعبية في زمن الثورة العلمية و والاكتشافات التقنية، فقد عاد حضور هذه المعتقدات الشعبية بقوة في حياة الأفراد والجماعات، فرغم اليقين التام لدى الجميع بكون هذه المعتقدات تفتقد للواقعية والمعقولية، وتنبني على أفكار ومعلومات من نسج الخيال والأسطورة والخرافة، إلا أن رغبة الإنسان في العثور على وسيلة متاحة وسهلة لتفادي القلق الذي ينتابه جراء تفشي المرض، ويضعه في مواجهة الموت بشكل مباشر، جعله يغض الطرف عن كل عمل أو دعوة تنادي بالتخلص من هذه المعتقدات الشعبية، وعدم الانسياق وراء أوهامها وادعاءاتها بالقدرة على الشفاء من المرض والتحصين من الإصابة به. لكن الإنسان، وبآذان صماء، رفض تلبية هذه النداءات، والإنصات لما تذيعه المراكز العلمية المختصة، وظل يعبر عن تشبته التام بأية معلومة وخدمة تجود بها المعتقدات الشعبية لغرض الحماية والاستشفاء من مرض كورونا. والخطير في الأمر أن اقتناع الإنسان بجدوى هذه المعتقدات الشعبية، لا يقف عند حدود المعرفة الذاتية والقناعة الشخصية، بل يعمل بكل ما أوتي من قوة على مشاركة المعلومات المتعلقة بهذا المعتقدات الشعبية مع الآخرين.

النتيجة السابعة: تعتقد أغلب الفئات المستجوبة بكون الوضعية الراهنة التي تعيشها البشرية بفعل تفشي وباء كورونا، ماهي إلا مظهر من مظاهر السنن الكونية التي طبع لها الله هذا العالم، خصوصا ما يتعلق بلحظات الخير والشر، والتي ترتبط في أذهان الناس بالعلاقة

الجدلية بين الذنب والعقاب، أي أن ظهور وباء كورنا نتيجة حتمية لانحراف الإنسان عن جادة الصواب.

خلاصات:

انطلاقا من الاستئناس بالحلول التي اقترحتها الفئة المستجوبة، فإن مواجهة القلق الوجودي في زمن كورونا، والتصدي لمشكلاته واضطراباته، والتي تهدد الحياة الكريمة للإنسان، مسؤولية جماعية تتقاسمها مختلف مكونات المجتمع البشري من خبراء وعلماء وأطباء وسياسيين ومبدعين ورجال دين ومواطنين، وذلك لطبيعة هذه الظاهرة، ولتعدد العوامل المساهمة في بلورتها، ولامتداد انعكاساتها واتساع نطاق تأثيراتها السلبية على الحياة الفردية والجماعية. فانطلاقاً من المؤشرات والتقارير التي تصدرها المؤسسات الدولية أو المحلية عن واقع تفشي المرض بين الشعوب والمجتمعات، والتي تؤكد في مجملها الوضعية الكارثية لوضعية الإنسان المعاصر في مختلف أرجاء العالم، رغم الاختلاف في درجة الأزمة النفسية و الاجتماعية من بلد إلى آخر، إضافة إلى الدراسات التي تشخص أزمة العلوم في مواجهة الوباء، أو تلك التي تشخص علاقة الإنسان بالمعتقدات الشعبية في التصدي لهذه الجائحة، نتوصل إلى أن أزمة عدم قدرة الإنسان المعاصر، خصوصا في المجتمعات المتخلفة، في حسم تموقعه بين الخطاب العلمي والمعتقدات الشعبية في التخلص من القلق الوجودي الذي يهيمن عليه بفعل الانتشار الواسع لمرض كورونا، ترجع إلى ضعف المستوى المعرفي والتنويري لهذا الإنسان بخصوص فعالية الحقائق العلمية، حيث يلاحظ عدم قدرة هذا الإنسان وجهله بمحتويات مختلف أصناف العلوم المهتمة بالموضوع، وبقاء عقله أسير المعتقدات الشعبية التي تحكمه وتشلّه عن التفكير، والقيام بعمليات علمنة وعقلنة واسعة في معركة التصدي للوباء. ويزيد من مأساوية هذا الوضع، انتشار مظاهر الجمود والتخلُّف والانحطاط الحضاري الذي يعاني منه المجتمعات النامية، وعدم التأقلم مع كل ما يخدم تحرير العقل والإنسان من هذه المعتقدات. وهكذا، فالتغلب على هذه الظاهرة، يقتضي ضرورة الأخذ بجميع المقاربات الطبية والعلمية والنفسية والاجتماعية، لعلها تكون عوناً في الوصول إلى الهدف المنشود.

توصيات الدراسة:

إن مشكلة القلق الوجودي في زمن كورونا، من الآفات التي لا يمكن معالجتها من إبداء النوايا الحسنة والتعبير عن الإرادات الطيبة والقيام ببعض الحلول الترقيعية والتدابير الشكلية، وإنجاز بعض العمليات الجزئية هنا وهناك، بل إن الأمر يتطلب وضع استراتيجية مجتمعية شاملة، تأخذ بعين الاعتبار أهمية تأهيل الرأسمال البشري لتحقيق السيادة الكاملة والفريدة للعلم، مادام أن هذا الأخير هي المفتاح الحاسم لكل عمل يتوخى القضاء الجدري على كل المشكلات النفسية والصحية والاجتماعية والاقتصادية لوباء كورونا، فمن خلال نتائج المقابلة الميدانية، يمكن الخروج بالتوصيات التالية:

- توفير كل الشروط المادية والمعنوية لرعاية الإنسان في زمن كورونا الذي يعاني بفعل الانعكاسات السلبة لتفشي المرض، ومتابعة أحواله النفسية والاجتماعية، واحتواء معاناته ومشاكله، ومنحه الإحساس بالأمن والاطمئنان، وتوعية الأسر بأهمية العلم في الحياة، ودوره في تمكين الفرد من الخروج من كل الأزمات التي يواجهها؛

- توعية الناس والأسر بخطورة خرق الإجراءات الوضع، من خلال الامتثال للإرشادات الصحية، وتفادي الإصابة بالقلق الوجودي جراء الفيروس من خلال التوقف لفترة عن تلقي أخبار الفيروس المتواترة على مدار الساعة، والتعاون والانفتاح على الأصدقاء والأهل، وطلب الدعم النفسي من المختصين والمقربين في كل حين، وتجنب اللجوء إلى محرك البحث «غوغل» بين الفينة والأخرى حتى يطلع الإنسان على أعراض المرض، لاسيما أن المعلومات التي سيحصل عليها، قد تكون من مواقع غير متخصصة وغير موثوقة؛

-الاعتماد على العلاج النفسيّ الوجوديّ، ووجوب التركيز عليه في كل الأزمات التي نتنج هذا القلق الوجودي. فهذه الظاهرة ذات طابع اجتماعي، ناتجة عن عدد من العوامل المتداخلة والمتشابكة، الشيء الذي يستدعي لمواجهتها، وضع استراتيجيات متعددة الأوجه والمستويات، تقوم على التعاون بين مختلف الفاعلين النفسانيين والصحيين الاقتصاديين والسياسيين والاجتماعيين، وذلك وفق أسلوب علمي فعال في التصدي للظاهرة.

خاتمة:

على هدي أسئلة منهجية، ينهض العمل في هذه الدراسة على فهم الأثر السلبي لإقبال الإنسان على تصديق قدرة المعتقدات الشعبية في التصدي لمرض كورونا، وذلك عوض الاعتماد الكلي على محتويات الخطاب العلمي، ويستلهم تفاعل الوعي الانساني مع ماهيتها وإشكالاتها وانعكاساتها على الفرد والمجتمع معا. فمن الصفحات السابقة، اتضح لنا الأثر السلبي لهذه الظاهرة المنتشرة خلال هذه الأيام، خاصة في المجتمعات المتخلفة، وتبين لنا الأسباب الحقيقية التي تساهم في انتشارها، وتوصلنا إلى بعض المقترحات كحلول واقعية، من شأنها القضاء على هذه الظاهرة أو على الأقل التخفيف من حدتها.

وفي الختام، لابد من الإشارة إلى ملاحظة هامة في هذا الجانب، تتعلق بضرورة مواجهة المشاكل التي يعانيها المجتمعات النامية بجرأة وشجاعة، والعمل على تكثيف الجهود لبلورة حلول ناجعة وواقعية لها، لأن تجاهلها يجعلها تزداد تعقيدا، ولابد كذلك، أن نضع نصب أعيننا، أن تحقيق الأهداف التي نصبو إليها، ليس بالأمر العسير، فقط يمكن ذلك، إن خلصت النيات وتظافرت الجهود بصدق وإخلاص.كما أن المطلوب، هو عدم الاكتفاء بالمقاربة العلمية لمعالجة الظاهرة، بل ينبغي تنويع طرق التدخل، وذلك بتوظيف مقاربة شاملة ومتكاملة تعتمد على مواجهة الأسباب التي تؤدي إلى هذه المعادلة.

لائحة المصادر والمراجع

- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الجيل، بيروت، 1408هـ.
- البعلبكي، منير، موسوعة المورد، دار العلم للملايين، بيروت،1983.
- الجابري، محمد عابد، مدخل إلى فلسفة العلوم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994م.
- الحفني، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 3، 2000.
- زكريا، إبراهيم، مشكلات فلسفية: المشكلة الخلقية، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1963.
- سارتر، جان بول، الوجودية: مذهب إنساني، ترجمة: الحنفي عبد المنعم، منشورات مكتبة الإسكندرية، القاهرة، ط1، 1964.
- الساعاتي، سامية، الشباب العربي والتغير الاجتماعي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 1، 2003.
- صبري، محمد خليل، مقدمة في الفلسفة وقضاياها، الجمعية الفلسفية، جامعه الخرطوم، الخرطوم، 2005.
- كمال، عبد اللطيف، التأويل والمفارقة نحو تأصيل فلسفي للنظر السياسي العربي، المركز الثقافي العربي، المغرب – الدار البيضاء، 1987.
- Lisa Feldman Barrett, Michael Lewis, Jeannette M. Haviland-Jones, handbook of emotions, Guilford Publications, New York, 2000.
- Barlow, David H, Unraveling the mysteries of anxiety and its disorders from the perspective of emotion theory, American Psychologis, 2002.
- Gilman, Robert, The Importance Of Time: www.context.org/iclib/ic02/gilman3vvv z